كلامنا بين الحياة والموت، والحوار الذي تأخر ٤٠ عاماً

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٨

www.coptology.org

يقول الرب يسوع لنا: "بكلامك تتبرر وبكلامك تدان". كلماتنا تعبِّر عن عما فينا. هي مرآةٌ لكل من يتكلم ولكل من يكتب. لذلك يقول رسول رب المجد: "ليكن الإنسان مسرعاً في الاستماع ومبطئاً في الغضب؛ لأن الغضب لا يؤدي إلى صدق الله" (حسب الأصل القبطي).

الباحث عن الحق يجده في شخص الرب يسوع؛ لأنه هو الحق. كان يسوع معلماً، وجسَّد في كيانه الحق. لم يتكلم بألسنة، ولا حصر أياً من الموضوعات التي لبست ثوب العقائد في كلمات، بل ظل شخصه وأفعاله وكلماته، الحق الذي أعلن الآب في حياته ثم سكب الروح علينا في العنصرة؛ لأننا نحتاج إلى "روح النبوة"، أي روح الأنبياء لكي نفهم ونعرف معاني حياة يسوع وكلماته.

الموت ضرب كلماتنا

يقول الرب: "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة"؛ لأنه هو الذي قال: "أنا الحق والحياة"، فكل كلمة من فم يسوع نابعة من الذي هو الحياة، وكل حرف نطق به لم يكن من أجل هدفٍ آخر غير الحياة، ولكي يشرق نور معرفة الآب بالحق في قلوبنا.

أما نحن، فكلامنا كثير عبَّر عنه رسول رب المجد بكلمة واحدة، وهي "اللسان"، وأشار الرسول إلى ينبوع الماء المالح والعذب.

كم سمعنا وقرأنا كلام موت، يضرب الوفاق، يخلق الكراهية، ويحدد الآخر بالشر الذي قد يكون قد صنعه، وينفي عنه صفة البنوة، وكل هذه هي ضربات الموت. لقد صار التدليس والكذب مباحاً ويُقال دون حياء، فظهرت علامات الموت، وخدع السُّذج الذين بلا حكمة.

الكلمة حسب حياة يسوع الذي فينا

هي الكلمة "العاملة بالمحبة"؛ لأن "من لا يحب لم يعرف الله" (١ يو ٤: ٨). وعندما كتب الرسول: "من يحب فقد وُلِدَ من الله" (١ يو ٤: ٧)، وقد سبق وقال إن الولادة من المحبة هي الولادة من الله؛ لأن "الله محبة" (١ يو ٤: ٨)، وهو الذي سبق فكتب في افتتاحية الإنجيل: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم (الآب) سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ... أي الذين ولدوا ليس من دم (الطبع المخلوق)، ولا من مشيئة جسد (الزواج)، ولا من رجل (إرادة إنسانية)، بل من الله" (يو ١: ١٢ – ١٣). وقد تحقق هذا لأن الكلمة صار جسداً ونقلنا من آدم إلى كيانه الإلهي المتجسد.

كلام الكذب هو من الشيطان، وملابس الكهنوت لا تخدع إلا الذين بلا حكمة.

التدليس هو عمل شيطاني يهدف إلى إخفاء الحقيقة.

الحوار المأمول في الكنيسة

معاناة ٤٠ عاماً تكاد توشك أن ترحل، رغم الكلام الجبان الذي كُتِبَ عن قرارات المجمع الأخيرة.

لا أريد أن أعود إلى التاريخ القريب المملوء بالتشهير في محاضرات القسم المسائي، ومجلة الكرازة، وأخيراً "بدع حديثة". ما حدث يجب أن يطويه الزمان، لكن صفحةً جديدةً تحتاج إلى عرضٍ لبعض قواعد الإفراز:

أولاً: الأنبا شنودة ليس مرجعية، ولا كاتب هذه السطور، ولا غيره من الأسماء اللامعة مثل القمص متى المسكين أو الأنبا غريغوريوس. **المرجعية هي التسليم الكنسي**.

على غير ذلك سار الواقع الكنسي في الـــ ٤٠ سنة الأخيرة، فقد تدرب جيلٌ على التشبه بالحركات الإسلامية في إبراز مفتٍ معيَّنٍ وأميرٍ للجماعة، أو التمسك بكتابٍ فقهي له مكانة معينة. متناسين أننا عندما نقلد نحن هؤلاء، نصبح مثلهم رغم اختلاف اللغة، في حين أن التسليم الكنسي هو إجماع الآباء على تعليم عقيدي دُوِّنَ قبلهم مثل: "ربٌ واحد يسوع المسيح"، وهي عبارة قانون الإيمان التي صارت أحد أسباب تصدي القديس كيرلس الكبير للنسطورية.

وإجماع الآباء نراه أيضاً في صوت الكنيسة الجامعة الذي كُتِبَ أثناء وبعد عصر الرسل في الصلوات الليتورجية وتسابيح الكنيسة، والذي له شهادة واضحة من الأسفار.

في الإسلام القاعدة الفقهية: "لا اجتهاد مع النص"، لأن أساس الإسلام هو الشريعة، تلك خصوصية الإسلام ولها كل احترام. لكن في المسيحية يجب أن نقول: "لا اجتهاد مع وجود التسليم الكنسي"، مع ملاحظة أن استعلان الابن المتجسد ليس هو مجموعة نصوص، بل استعلان علاقة شركة لم تؤسَّس بالنص، بل بما قدَّمه الرب نفسه من ذاته ومن كيانه الإلهي المتجسد.

ثانياً: كل الآراء الشخصية، مهما كان قائلها يجب أن تراجع على التسليم. وهنا، أريد إجابةً صادقة على هذه الأسئلة:

– هل صادفنا تعبير "الحلول المواهبي" في أيٍّ من عناصر التسليم الكنسي؟ ألا يتصادم هذا التعبير مع صلوات استدعاء الروح القدس، وليس مواهب الروح القدس؟

– وحسب ما دُوِّنَ في التاريخ الكنسي القبطي والعالمي، هل هناك وثيقة ورد بها تعبير "البديل العقابي" حتى يمكن أن يُتهَم شخصٌ بأنه غير أرثوذكسي إذا رفض هذا التعبير، الذي يشهد التاريخ أنه أحد أوجه تعليم يوحنا كالفن (القرن ١٦)؟

– وهل يوجد لدينا مجمع قَبِلَ تعليم وراثة خطية وذنب آدم؟

ثالثاً: حوارٌ مبني على أبحاث ورقية، لا على أصـــوات وخطب أو مقالات في مواقع التواصل الاجتماعي. والحوار الذي يُناقَش، يدوَّن، لأنه ليس لدينا في المسيحية، لا سيما الأرثوذكسية عصمةٌ لأشخاص أياً كانوا كما سبق وأوضحنا.

نريد أن يكون الحوار حوار الصدق لا مناسبات تشهير.

حوار المحبة الذي لا يهدف إلى الإيقاع بالآخر، بل التعرف عليه ومحبته.

أما في مواجهة حوار غضـبٍ واتهامات لا تخص الرب، بل خاصـة بمن صـنعها لكي يشمل سواد الكراهية كل شيء، فإننا نحتاج إلى كلمة واحدة قالها الرب نفسه عندما حاول الشـيطان أن يشـهد له: "اخرس"، حتى لا يصـبح اتهام اليهود بأن الرب حليف الشيطان اتهاماً صحيحاً.

أُقدِّم هذه السـطور من أجل الإيمان، ومن أجل أن نبقى في درب الإيمان القويم؛ لأن الذين لم يعرفوا الحق ولا المحبة، سـيسـمعون بعد عيد الصـعود في تسـبحة الكنيسـة: "فلنسبح اسم الرب لأنه بالمجد تمجد ... وأرسل لنا الباراكليت روح الحق المعزي".

إلى روح الحق المعزي أرفع صـــراخ قلبي لكي نبقى أحياء في المســـيح، ولا يقوى علينا موت الخطية ولا على كل شعبك.

دكتور

جورج حبيب بباوي